له التصرف بما يشاء ويعلم انه ان ابقى عليه تلك المحنة فهو عدل وان ازالها فهو فضل قوله تعالى ولقد اهلكنا القرون
من قبلكم يعني اهلكنا الامم الماضية من قبلكم يخوف بذلك كفار قريش لما ظلموا يعني لما اشركوا وجاءتهم رسلهم بالبينات يعني
فكذبوهم وما كانوا ليؤمنوا يعني هذه الامم برسلهم وتصديقهم بما جاءوا به من عند الله كذلك نجزي القوم المجرمين يعني كما
اهلكنا الامم الخالية لما كذبوا رسلهم كذلك نهلككم ايها المجرمون بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم ثم جعلناكم خلائف
في الارض من بعدهم الخطاب لاهل مكة الذين ارسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ثم جعلناكم ايها الناس
خلفاء في الارض من بعد القرون الماضية الذين اهلكناهم لننظر كيف تعملون يعني خيرا او شرا فنعاملكم على حسب
اعمالكم والنظر هنا بمعنى العلم يريد لنختبر اعمالكم وهو يعلم ما يكون قبل ان يكون قال اهل المعاني معنى النظر هو طلب
العلم وجاز في وصف الله تعالى لاظهار العدل لانه تعالى يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم
ليجازيهم بحسبه كقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ذكره الواحدي والرازي ق عن ابي سعيد الخدري ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء
قوله عز وجل واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يعني واذا قرئ على هولاء المشركين ايات كتابنا الذي انزلناه اليك يا محمد
بينات يعني واضحات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني قال هولاء المشركين
الذين لا يخافون عقابنا ولا يرجون ثوابنا لانهم لا يومنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث فانه
لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا ائت بقران غير هذا او بدله قال قتادة قال ذلك مشركو اهل مكة وقال مقاتل
هم خمسة نفر عبد الله بن امية المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن ابي قيس العامري
والعاص بن عامر بن هشام قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد ان نومن بك فائت بقران غير هذا
او بدله ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وان لم ينزله الله عليك فقل انت من نفسك
او بدله فاجعل اية عذاب اية رحمة ومكان حرام حلالا ومكان حلال حراما قال الامام فخر الدين الرازي
اعلم ان اقدام الكفار على هذا الالتماس يحتمل وجهين احدهما انهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء
الثاني ان يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجربة والامتحان حتى اذا فعل ذلك علموا انه كان كذابا في قوله ان
هذا القران ينزل عليه من عند الله ومعنى قوله ائت بقران غير هذا او بدله يحتمل ان ياتي بقران اخر مع وجود
هذا القران وفي التبديل لا يكون ذلك الا مع وجوده وهو ان يبدل بعض اياته بغيرها كما طلبوه ولما سالوا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم امره ان يجيبهم بقوله قل اي قل يا محمد لهولاء ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي
يعني ان هذا الذي طلبتموه من التبديل ليس لي وما ينبغي لي ان اغيره من قبل نفسي ولم اومر به ان اتبع الا ما
يوحى الي يعني فيما امركم به ولا انهاكم عنه وما اخبركم الا بما يخبرني الله به وان الذي اتيتكم به هو من عند الله لا من عندي
اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم اي قل لهم يا محمد اني اخشى من الله ان خالفت امره او غيرت احكام كتابه
او بدلته فعصيته بذلك ان يعذبني بعذاب اليم في يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت قوله عز وجل قل اي قل
يا محمد لهولاء المشركين الذين طلبوا منك تغيير القران وتبديله لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني لو شاء الله لم ينزل على
هذا القران ولم يامرني بقراءته عليكم ولا ادراكم به قال ابن عباس ولا اعلمكم به وقيل ولا ادراكم به يعني ولا ادراكم
الله به ولا اعلمكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله يعني فقد مكثت فيكم قبل ان يوحى الي هذا القران مدة اربعين سنة
لم اتيتكم بشيء ووجه هذا الاحتجاج ان كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وعلموا
احواله لم يطالع كتابا ولا تعلم من احد مدة عمره قبل الوحي وذلك اربعون سنة ثم من بعد الاربعين جاءهم بهذا الكتاب المشتمل على
نفائس العلوم واخبار الماضين وفيه من الاحكام والاداب ومكارم الاخلاق والفصاحة والبلاغة ما اعجز العلماء والفصحاء والبلغاء

معارضته

معارضته كل من كان له عقل وفهم ثاقب يعلم ان هذا لا يحصل الا بوحي من الله تعالى لا من عند نفسه وهو قوله تعالى افلا
تعقلون يعني ان هذا القران من عند الله اوحاه الي لا من قبل نفسي ق عن ابن عباس قال انزل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو ابن اربعين فمكث ثلاث عشرة سنة يوحى اليه ثم امر بالهجرة فهاجر الى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفي
صلى الله عليه وسلم وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى
الضوء ولا يرى شيئا سبع سنين وثمان سنين يوحى اليه واقام بالمدينة عشر سنين وتوفي وهو ابن خمس وستين سنة اخرجاه
في الصحيحين خ عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وابو بكر وهو ابن ثلاث
وستين سنة اخرجه مسلم ق عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن قال انس بن مالك يصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان
ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ازهر اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالادم ليس بجعد قطط
ولا سبط رجل نزل عليه الوحي وهو ابن اربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه الوحي وبالمدينة عشرا وتوفاه
الله وهو ابن ستين سنة وليس في راسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء اخرجاه في الصحيحين قال الشيخ محي الدين ورد
في عمره ثلاث روايات احداها انه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون سنة والثالثة
ثلاث وستون سنة وهو اصحها واشهرها رواه مسلم من حديث انس وعائشة وابن عباس واتفق العلماء على ان اصحها
ثلاث وستون وتاولوا الباقي عليه فرواية ستين اقتصر فيها على العقود وترك الكسر ورواية الخمسة متاولة
ايضا وحصل فيها اشتباه قوله يسمع الصوت صوت الهاتف من الملائكة ويرى الضوء يعني نور الملائكة ونور ايات
الله حتى راى الملك بعينه وشافهه بالوحي من الله عز وجل وقوله ليس بالابيض الامهق المراد به الشديد البياض
كلون الجص وهو كريه المنظر وربما توهم الناظر انه برص والمراد انه كان ازهر اللون بين البياض والحمرة
قوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعني فزعم ان له شريكا وولدا والمعنى اني لم افتر على الله كذبا ولم اكذب
عليه في قولي ان هذا القران من عند الله وانتم قد افتريتم على الله الكذب فزعمتم ان له شريكا وولدا والله منزه عن
الشريك والولد فلا احد في الدنيا اظلم على نفسه منكم حيث افتريتم على الله اي كان هذا القران من عند الله
اوحاه الي وجب ان يقال ليس احد في الدنيا اجهل ولا اظلم على نفسه منكم حيث انكرتم ان يكون هذا القران من
عند الله فقد كذبتم بايات الله وهو قوله او كذب باياته يعني جحد بكون القران من عند الله وانكر دلائل التوحيد
انه لا يفلح المجرمون يعني المشركين وهذا وعيد وتاكيد لما سبق ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم
يعني ويعبد هولاء المشركون الاصنام التي لا تضرهم ان عصوها ولا تنفعهم ان عبدوها لانها حجارة وجماد لا تضر
ولا تنفع ولان العبادة اعظم انواع التعظيم فلا يليق الا بمن يضر وينفع وهذه الاصنام حجارة وجماد لا تضر
ولا تنفع ويقولون هولاء يعني الاصنام التي يعبدونها شفعاؤنا عند الله قال اهل المعاني توهموا ان عبادتها
اشد في تعظيم الله من عبادتهم اياه وقالوا لسنا باهل ان نعبد الله ولكن نشتغل بعبادة الاصنام فانها تكون لنا
شافعة عند الله ومشفوعها اخبار عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفي هذه الشفاعة قولان احدهما
انهم يزعمون انها تشفع لهم في الاخرة قاله ابن جريج عن ابن عباس والثاني انها تشفع لهم في الدنيا في اصلاح
معاشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعثا بعد الموت قل اي قل يا محمد اتنبئون الله بما لا يعلم
في السموات ولا في الارض يعني اتخبرون الله ان له شريكا ولا يعلم الله لنفسه شريكا في السموات ولا في الارض
وهذا على طريق الالزام والمقصود نفي علم الله بذلك الشريك وانه لا وجود له بالكلية لانه لو كان موجودا
لعلمه الله وحيث لو كان معلوما لله وجب ان لا يكون موجودا ومثل هذا مشهور في العرف فان الانسان اذا اراد
نفي شيء حصل في نفسه يقول ما علم الله ذلك مني مقصوده انه ما حصل ذلك الشيء منه قط ولا وقع سبحانه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)